الميتربولية ورهان التنمية المستدامة حالة وهران

لصقع موسى[1]

الإشكالية :
ارتكز تنظيم المجال ما بعد الاستقلال على المدن المترو بولية الموروثة عن الاستعمار ومدينة وهران، بما تملكه من قدرات مجاليه متعددة ، دفعتها لتمارس نفوذها، وتبسط قطبيتها إلى حدود تتجاوز تراب الولاية، إلى الولايات المجاورة، بل حتى إلى المناطق السهبية والجنوبية الغربية. لكن بحكم موقعها الجيواستراتيجي، كمدينة ساحلية، منتمية إلى الحوض المتوسط، يقابلها في ضفته الشمالية، مدن مترو بولية حقيقية قوية ومتطورة جدا، تمارس عاصميتها ونفوذها بشكل قوي جدا،وهو دافع يفرض على عاصمة الغرب الجزائري رفع التحدي(تحدي الميتروبولية والتنمية المستدامة)، بأن تخرج من قوقعتها وتواضعها، و لعب دور المترو بول ضمن السياق الوطني، إلى سياق إقليمي، مغاربي ومتوسطي، بل إلى سياق دولي، دون التفريط في التنمية البشرية و البعد البيئي ، ولن يتأتى لها ذلك، إلا إذا حسنت من قدراتها التنافسية ومن اندماجها، الذي لا يمكن لها أن تكون إلا من خلال مقاربة شاملة ومندمجة لمجالاتها التراتبية وتعبئة جميع قدراتها وثرواتها لكسب رهان الميتروبولية في إطار التنمية المستدامة .
التنمية المستدامة: مصطلح يستخدم بشكل عام وواسع ليصف سلسلة معقدة من الأهداف ونشاطات وسلوك الإنسان تجاه البيئة التي يجب أن تتوافق مع حاجات وطموحات الحاضر دون أن ترهن مستقبل الأجيال اللاحقة لتلبية متطلباتها وطموحها ويتضمن هذا المصطلح أن تؤخذ بالاعتبار كلا من الأوضاع ا لتقنية والاجتماعية لنشاطات الإنسان بحيث لا تفوق طاقة المحيط الحيوي لاحتواء تأثيراته السلبية ، هذا ما اتفق عليه كتعريف عام للتنمية المستدامة
المنهجية:
- محاولة فهم ميكانيزمات المترو بولية ، وفق مقتضيات القوانين وخاصة قانون 20/1 (مؤرخ في 27رمضان 1422 الموافق 15 ديسمبر2001) يتعلق بتهيئة الإقليم وتنميته المستدامة. وبمقتضى القانون 06/06/ مؤرخ في 21محرم 1427 الموافق 20 فيراير2006) يتضمن القانون التوجيهي للمدينة،
نود أولا وأخيرا: أن لا تبقى البحوث الجامعية ذات توجه نظري أكاديمي لا صلة لها بالواقع الميداني ، وقد أنجز الطلبة تحت إشرافنا(فريق بحث)[2] عدة بحوث في محور المدن وديناميكية المجال العمراني منها ما يتعلق بالأدوار الإقليمية في الغرب الجزائري على مستويات مختلفة ضمن منظومة مخططات التهيئة والتعمير.
سنحاول تحليل الموضوع في عدة مقالات هذه الأولى نتناول خلالها معطيات أولية عن الوضع الراهن .

المترو بولية ورهان التنمية المستدامة

الوضع الراهن

مرت مدينة وهران بعدة مراحل منذ نشأتها حول وادي رأس العين الذي كان يدعى واد الرحى. ولم تعرف المدينة توقفا في التطورمنذ ذلك الحين. وهي من أهم المدن ذات الطابع الأوروبي في الجزائر أثناء الفترة الكولونيالية ، و تحتل اليوم الرتبة الثانية على المستوى الوطني، فما المقصود بالمترو بولية

[1] (لصقع موسى: أستاذ محاضر أ قسم الجغرافيا والتهيئة القطرية جامعة وهران *email. moussalesgaa@gmail.com*
Laboratoire EGEAT
[2](فريق البحث يتكون من السادة لصقع موسى وبن داوود محمد ومعاشو حاج محمد و تللو غياث وقد كان الموضوع من بناة أفكار المرحوم فارس جمال الله)

و التنمية المستدامة لمدينة وهران اليوم وما الوسيلة ؟ انطلاقا من قاعدة جغرافية مفادها أن مخطط التهيئة العمرانية ومخطط شغل الأرض..الخ هي وسائل التسيير العمراني وأن التنمية المستدامة في المفهوم الجغرافي هو إ يجاد توازن بين أربعة أبعاد حين التخطيط هي:
(البعد الاقتصادي والبعد البيئي والبعد الاجتماعي والبعد الثقافي) وبالتالي هناك تقاطع بين وسائل التسيير والأبعاد السابقة الذكر وإن تناول هذه المفاهيم بالتحليل والتعليل والربط لمدينة كبيرة كوهران يتطلب حل هذه المعادلة
(المترو بولية ورهان التنمية المستدامة تساوي التوازن في مجال تسيير واستعمال المجال العمراني) .
إن مفتاح التنمية المستدامة اليوم يكمن في فهم المنظومة البيئية والتعامل الصحيح معها فما هي البيئة المقصودة هنا؟
البيئة في الجغرافيا منظومة متكاملة تنتج عن مدخلات تتمثل في معطيات بشرية وأخرى طبيعية

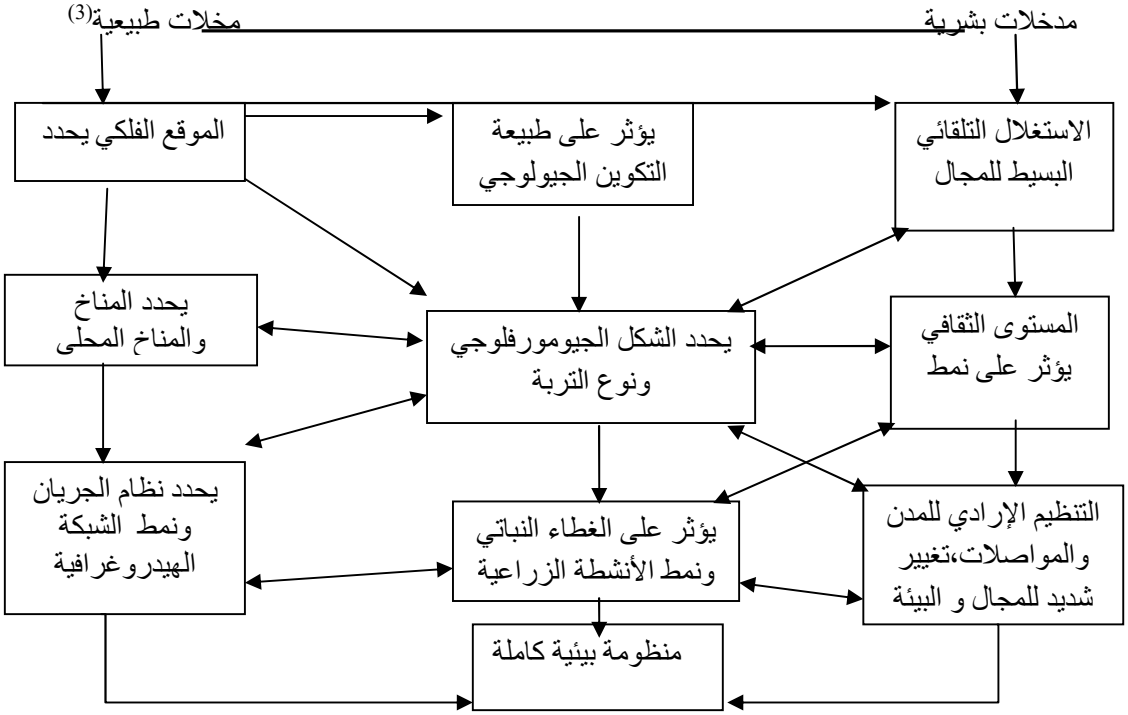

نلاحظ أن المدخلات الطبيعية محددة، إذ ليس بالإمكان تغيير الموقع الفلكي الذي هو المحدد لنوع المناخ ، كما لا يمكن تغيير خط الساحل (إلا مجازا) فالتبادل بين عنصرين أو أكثر له تأثير على تنظيم المجال حيث نلاحظ مجالات شديدة التغيير عندما تتوفر الظروف الطبيعية الملائمة فتخضر الأرض وتزدهر الحياة الحيوانية تبعا لازدهار الحياة النباتية ويعتمد الإنسان على هذا التسلسل في غذائه، أما إذا كان الموقع الفلكي غير مناسب فالتغيير يكون صعبا وأحيانا مستحيلا، بينما في العروض الموجودة بين الحالتين من حيث الموقع الفلكي، نجد تغيرا يتماشى مع المستوى الثقافي للمجتمع الذي يصبح أكثر أهمية في تحديد نمط التغيير مثل اليابان طبيعة الأرض صعبة ومع ذلك فالتغيير شديد قوي ، فالإنسان ابن بيئته كما يقال وهو في تبادل وتفاعل معها حسب ما له من ثقافة وإمكانيات.وحسب نوع المعطيات الطبيعية التي يواجهها .
فالبيئة إذن: نظام فيه قسم حي يضم الكائنات المنتجة والمستهلكة والمفككة وقسم غير حي مثل التربة والمناخ...ألخ

[3] معاشوحاج محمد ولصقع موسى (النمو العمراني والتنمية المستدامة في الواحات الجزائرية حالة غرداية) مجلة الجغرافي العربي، في طريق النشر

ويتميز النظام البيئي بوجود روابط تشكل شبكات وسلاسل غذائية تؤمن استمرار النظام بوجود نسبة ثابتة بين المنتجات والمستهلكات ، إذا اختلت هذه النسبة يفقد النظام توازنه .
الحفاظ على سلامة الأنظمة البيئية شرط وهو لا يعني إيقاف العمليات التنموية ، إذ لا يمكن الفصل بين المتطلبات الاقتصادية والمسائل البيئية[4] ، وقد عرفت وهران التنمية المستديمة لما استطاع أهل المنطقة إيجاد توازن بين متطلبات الحياة الاجتماعية والاقتصادية من جهة وبين المعطيات والإمكانيات والموارد المرتبطة بالبيئية من بينها خاصة محدودية المياه من جهة أخرى.
لقد كان التوازن سمة لتطور العمران بمدينة وهران منذ التأسيس سنة902م إلى 1831م ، بما فيها الفترة المزدهرة من تأسيسها إلى سنة 1509 م، ثم المدينة الأسبانية ذات الحصون إلى زلزال 1790،ثم المدينة (القصبة التركية) إلى 1831 ،وقد عرفت مسارا لتنمية بدون تبذير أو إتلاف للموارد أي تحقيق توازن بين المتطلبات والحاجيات .
وان الفترة الكلونيالية عرفت واتسمت بما نسميه الجغرافية الإرادية (مفيدة للمعمرين على حساب الأهالي كما يسمون) وأعتبرها شخصيا فترة بداية فقدان التوازن الجغرافي وتغيير المعطيات العمرانية والبشرية لتصب في خدمة المستعمر، بينما تعتبر الفترة الحالية هي فترة التخبط لاسترجاع التوازن بين البعدين الاقتصادي والبيئي ولم يسلم لذلك البعد الاجتماعي والثقافي ، وهو ما يتضح أكثر عندما نقوم بتحليل المحورين التاليين :

أولا: تاريخ تطور العمران بالمدينة يشهد على التوازن المتبادل بين الإنسان وبيئته
سكن الإقليم منذ القدم أناس عرفوا باسم النفزة وبني مسغن المنحدرة من قبائل أزديجة البربرية – وفي القرن الثالث قبل الميلاد جاء الفينيقيون وسايروا محاذاة الساحل الجزائري وحوالي سنة 75 ق .م وصل الرومان عن طريق الأرض انطلاقا من تونس – وكذلك الو ندال سنة 429 عن طريق أسبانيا التي لا تفصلها عن سواحل وهران سوى 230 كلم (شاطئ نمور) ، وفي العهد الفينيقي الذي عرف بنشأة عدة موانئ ، لم يسجل في هذا المكان سوى بعض المغارات(إفري) في ضواحي حي إكميل ،ولم يترك الرومان سوى اسم(الميناء الرباني) بورتوس ديفانوس) يطلق على المرسى الكبير، ثم بعد ذلك جاء الفتح الإسلامي من الشرق في القرن السابع والثامن الميلادي ،وفي بداية القرن العاشر الميلادي وبالتحديد سنة902 تأسست مدينة وهران عن طريق قبيلة مغراوة (قبائل النفزة وبني مسغن) بمساعدة بحارة أمويين هم : محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون ، ومن بعدهم كان الاحتلال الأسباني في القرن الخامس عشر ثم مجيء الأتراك سنة1708 و1791 وأخيرا الفرنسيين 1830م

أ- ما قبل 1832 : منذ نشأتها حول واد رأس العين الذي كان يدعى واد الرحى مدينة وهران لم تعرف توقفا في التطور وجلب انتباه الناس إليها واحتضان أحداث تاريخية مهمة في بداية حياتها وقد تحدث عن ذكر أخبارها الرحالة العرب والأجانب مثل الحافظ أبو راس في عجائب الأسفار وأبو زيد عبد الرحمن وابن حوقل والإدريسي .
وقد تطورت المدينة وازدادت أهميتها كميناء واكتسحت المباني طول الوادي حتى الساحل فازداد الترابط بالحياة البحرية وبينما كانت ميناء لخدمة العاصمة تلمسان – استقلت عن حكم الزيانيين سنة 1470 وصاحَبَ هذه الفترات هجرة اليهود والعرب من الأندلس منذ سقوط غرناطة 1492 وقد غزاها الأسبان سنة 1505 ثم سنة 1509 فتحولت المدينة إلى قلعة أسبانية وبنو فيها قلاعا وحصونا مازالت آثارها حتى الآن .

[4] علاوة بولحواش 2007التوازن البيئي والتنمية السياحية المستدامة لولاية جيجل مؤتمر الجغرافيين المغاربيين صفاقس تونس19/22افريل 2007

وقد أ ورد كوهل أن عدد السكان في وهران قبيل الزلزال أكثر من 20000 نسمة ، وكانت مدينة ذات أهمية حسب المراجع المختلفة [5]. وخلاصة القول أن مدينة وهران قبل الاحتلال الفرنسي كانت تنعم بالازدهار والتوازن قبل زلزال سنة 1791 والعمران الذي ظهر بعد ذلك إلى 1831 .

ب- مرحلة الاستعمار الفرنسي : أنشأ الحكم العسكري سورا من الثكنات العسكرية. واستولى على معظم القصور والمساجد ليحولها إلى أغراض عسكرية بحتة ولمدة طويلة من الزمن, وقد أورد(لسبس) أن الفترة من 1830 إلى 1848 تم فيها تشييد أكثر من 290 مبنى جديد ، وتوسيع الشوارع الموجودة أصلا.وقد أصبحت وهران بلدية بمرسوم ملكي سنة 1848 وقد وصل عدد السكان سنة 1861 إلى 26494. غير أن العمران الحديث لمدينة وهران هو القرن العشرين(من 1909 إلى 1962) حيث قفز عدد السكان سنة 1901 من 93332 نسمة إلى 194746 نسمة سنة 1936 ومساحات البناء تضاعفت وتعدت ما كان مقررا لها . وفي سنة1905 بنيت المحطة المركزية للسكة الحديدية ، غير أن أهم مخطط هو مخطط 12 جويلية 1912والذي قرر إنجاز شارع واجهة البحر.

والذي تكفلت بانجازه شركتا, Cie d'Algérie و. s.germain manent و انتهى المشروع سنة 1924

الصورة رقم 1 واجهة البحر عند انجازه.وحاليا

كما ظهر إلى الوجود(H. L.M) سكن ذو كراء متوسط وظهرت على أثره أحياء: مارافال – شوبوا . وكذلك تم ردم ومعالجة مظاهر الأودية الخمسة التي كانت تصب في الميناء وتوسعت المدينة فوق الهضبة في جميع الاتجاهات تقريبا فظهرت المباني الفوضوية للمهاجرين المغاربة على سطح المرجاجو الشرقي وظهرت المجمعات السكنية في الجنوب بالإضافة إلى تعمير الفراغات الداخلية .
من 1930 إلى 1936 بنيت 2560 عمارة أكثر من طابقين في الغالب. وفي ميدان المواصلات تم إنشاء مخطط المواصلات داخل المدينة.حيث تم تنظيم الطرق بإنشاء أحزمة دائرية لخدمة كل أطراف المدينة حتى كانت قبل الاستقلال بقليل تعتبر أهم مدينة أوروبية في الجزائر (السابعة على مستوى المدن الفرنسية) .تحتوي على قرابة 300000 نسمة وهي الفترة التي لم يراعى فيها إلا مصالح المعمرين على حساب الأهالي وبالتالي يمكن اعتبارها مرحلة بداية التدهور وفقدان التوازن بين متطلبات الحياة للمعمرين من جهة وبين المعطيات والإمكانيات البيئية من بينها السكان المحليين من

[5] وقد استطعنا الحصول على نسخ لأربع خرائط ومخططات المدينة لهذه الفترة من المكتبة الوطنية بباريس. الأولى يظهر فيها ميناء وهران القديم وإلى الداخل مباني تسير بشكل طولي محاذية للوادي على الجانب الغربي منه خاصة . بعنوان plan de la plazza de Oran والخريطة الكروكية الثانية بنفس العنوان أيضا خريطة القرن 18 ثم خريطة أخرى 1756 وأخيرا – خريطة وهران والمرسى الكبير بإفريقيا

جهة أخرى، غير أن أحداث 1962 كلف مدينة وهران غاليا حيث تم قصف المدينة بالمدافع وتفجير عدد كبير من المحلات فتوقف البناء وتدهورت الخدمات وان النقل شل تماما بعد رحيل الأوربيين.

ج - فترة ما بعد الاستقلال و المرحلة الحالية

بينما الفترة الحالية هي فترة التخبط لاسترجاع التوازن بين البعدين الاقتصادي والبيئي ولم يسلم لذلك البعد الاجتماعي والثقافي ونخص بالذكر فترة مخطط التهيئة والتعمير وهو مازال ساري المفعول إذ استمر فقدان التوازن طويلا بعد الاستقلال لأن كل شيء كان مبرمجا لخدمة المعمرين من أنتاج زراعي أغلبه كروم وخضر ونسيج صناعي أكثره معاصر الخمور موجهة للتصدير وهي التبعية التامة إذن وعند أول خلاف مع فرنسا كان علينا أن أ ن نرمي هذا الإنتاج في البحر لتثمل اسماك البحر المتوسط (كما ورد في المجلة الفرنسية المعروفة باسم البطة المربوطة 1967)

مرحلة إعداد مخطط التهيئة والتعمير الحالي 2015/95

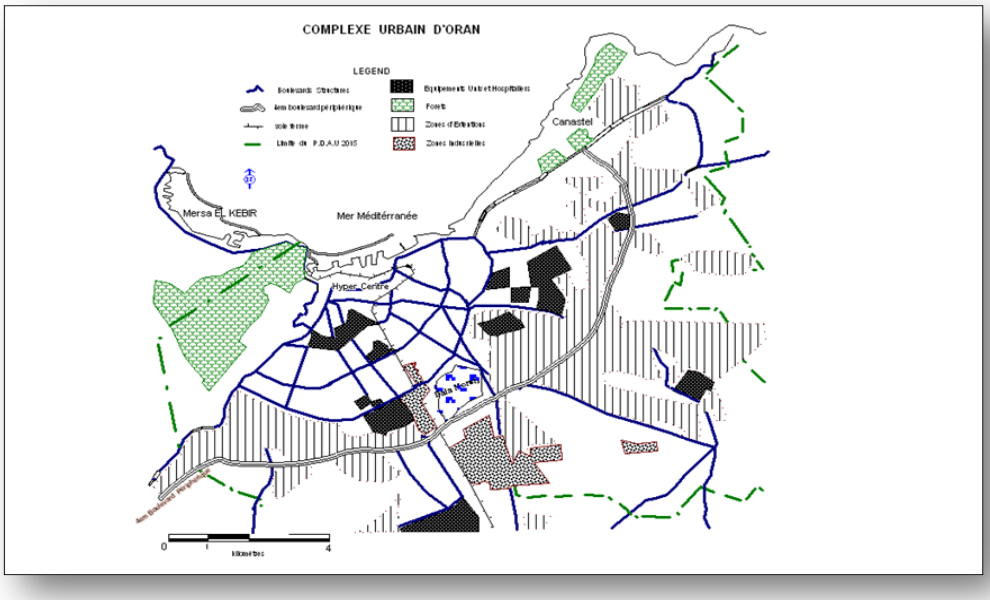

تميزت المرحلة بسرعة التعمير عن طريق التوسع عبر مختلف الوسائل العمرانية ، مثل المناطق الحضرية السكنية الجديدة ، المناطق الصناعية، التجزءات ، والتعاونيات العقارية....ألخ.

وقد أخذ هذا النمو شكل نصف دائري أعاق من حركة نشاط المدينة فكان لابد من تكسير النظام المركزي باختيار تطور عمراني طولي باتجاه أرزيو، ولعله أهم المحاور الممكنة للتوسع فهو قادر على استيعاب 80 بالمائة من مجموع الاحتياجات السكنية المتوقعة لأفق 2015 على مساحة 1574 هكتار حسب مخطط التهيئة والتعمير (1995). وقد تم إقرار: الحفاظ على الأراضي الزراعية استثمار النسيج العمراني الحالي و القضاء على البناء الفوضوي

التوسع نحو الشرق (محور وهران أرزيو)

وهو ما يدل على أن هذه المنطقة برمجت لتعرف حركة كثيفة حقا، يتجلى ذلك بالتغير الدائم للمظهر الحضري ، الذي صاحبه تزايد سكاني مهم حيث مر من 13264 سنة1966 إلى 82078 سنة1998، إلى 152 151 سنة 2008

بتدشين شارع الألفية سنة 2004 وظهور الأحياء السكنية مثل العقيد لطفي ، وقبله حي المعلمين وسريعا التحمت الأحياء القديمة بالتوسعات الجيدة حول برنارد فيل وبير الجير وسيدي البشير ودوار بوجمعة بحي الشهيد محمود. ألخ..

وأنماط سكنية مختلفة في هذا المحور ، عمارات شاهقة ترقوية ،(وكالة عدل، إنجاز الشركات الصينية) والأسئلة المطروحة ,من خلال ما يجري الآن، وما سيجري من خلال تنفيذ مخططات قطاعات التعمير المستقبلية السبع ومن مجمل الحقائق المجالية والديموغراقية لمنطقة التوسعات هي :

أي نوع من العمران ستعرفه وهران في الفترة اللاحقة في ظل غياب تحسيس واهتمام مكونات المجتمع المدني ومسؤوليته في عمران المدينة ؟ كيف أثر التحول الاقتصادي والديموغرافي على هذه المنطقة ؟

ثانيا: وهران مهيمنة في إقليمها وتزايد في دورها الاقتصادي على المستوى الوطني والدولي

تبقى وهران عاصمة حاسمة في كل الغرب الجزائري ، بحجم سكانها المهيمن – فلو حسبنا على مستوى إقليم (شمال غرب) نجد المدينة الثانية+ الثالثة +الرابعة في مجموعها أقل من 62% من المدينة الأولى وهران. إذن هي مركب عمراني باستعمال مقياس الاولوية الذي ينسب المدينة المهيمنة الى مجموع المدن الثلاث التالية لها في الحجم فالأرقام تدل على ظاهرة السيطرة الشديدة =1.62 أى أكبر مرة ونصف من مجموع المدن الثلاث التالية لها ، وهو مايفسر أشعاعها المحلي والجهوي والوطني والمتوسطي أوالدولي :

والجدول رقم1 يوضح ذلك.

المدينة	عدد السكان 2008	النسبة%
وهران مجمع (بئر الجير و السانية..)	1022262	%100
مجمع تلمسان (حناية شتوان منصورة)	270 264	%26,43
بلعباس	212 935	%20,82
مستغانم	145 696	%14.25
غليزان	130 094	%12.72
معسكر	108 587	%10, 62
تيموشنت	72 940	%7.13

مجموع سكان المدن الست في إقليم شمال غرب = 940516 أي 92.89 % أقل من سكان مدينة وهران وحدها حسب الإحصاء الخامس للسكن والسكان لسنة2008 ، وهو ما يجعل من المدينة قطب في عدة أبعاد نذكر منها :

أ - البعد الاقتصادي.

اكتسبت عاصمة الغرب الجزائري بعدها الاقتصادي من موقعها الجغرافي: فهي تقع على الشاطئ الجنوبي الغربي للبحر المتوسط. في موقع طبيعي مميز، حيث تحتل الركن الغربي من خليج وهران، مقابل كل من اسبانيا وفرنسا مما أكسب واجهتها البحرية، أهمية اقتصادية وحربية كبرى في مختلف المراحل التاريخية ، كما أن موقعها على الخليج مقابل أوربا يعتبر أيضا مدخلا لإقليم الغرب الجزائري كله وبذلك أكسبها ميزة وفرض عليها نوعية من النشاط الاقتصادي للسكان بالإقليم فهي نافذة على العالم الخارجي وتتحكم كذلك في الطرق البرية والبحرية والسكك الحديدية لإقليمها من الناحية الاقتصادية والتجارية والأمنية، تجارة المرور خاصة ، وقد استفادت من هذا الموقع طبيعيا من حيث الصيد والملاحة البحرية ،وهي اليوم أكثر المدن تجهيزا من حيث هياكل الاستقبال بالهياكل الأكثر أهمية على مستوى الإقليم ، وخاصة في مجال التجارة والصناعة والبنوك ..الخ

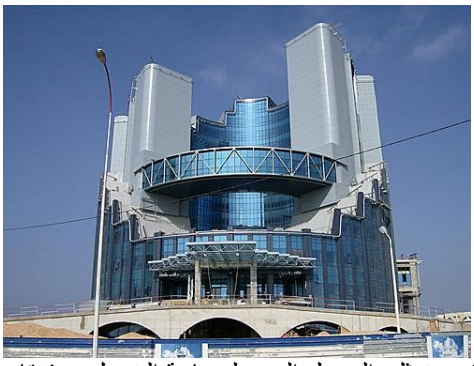

الصورة رقم 3 تمثل :البرميل الرمز لصناعة البترول ومشتقاته في وهران

وقد يرى البعض أن ميناء وهران المدينة أصبح قليل الأهمية وان وهران قد أولت ظهرها للبحر بعد تناقص الصيد البحري وفسح المجال لغيره من موانئ الجهة الغربية ، غير أن دوره كنقطة التقاء للنقلات بين أوربا وإفريقيا ومجموع حوض المتوسط أكسبها طابعا شموليا حيث أنها ليست سوقا أو قلعة أو ممرا إلزاميا بل جمعت بين هذه الأمور كلها وهذا بفضل الموقع الجغرافي الممتاز .

ويذكر توفيق بالحارث[6] أن البلدان المغاربية وخاصة تونس وفي محاولة منها للانضمام إلى المنظمة العالمية للتجارة ستضطر إلى المبالغة في تأجير المجالات البحرية كوسيلة لهذا الانضمام والعصرنة والندية واللحاق بالمستوى العالمي كمرحلة أولى في طريق الاندماج الضروري والسير الحسن لمؤسساتها الاقتصادية ، هذا أولا وثانيا إن تواجد قاعدة لوجيستية على الساحل بأفكار جديدة للتسيير سيساهم بلا شك في تغيير مركزية الأماكن بدرجة كبيرة على الساحل وإعادة تنظيم المسارات الاقتصادية وفرض توجيه موقع المسارات وبالتالي إعادة النظر في التنظيم اللوجيستيكي ومعناه فرض نموذج خاص مثل العلاقات بين المنتجين وكبار سلاسل التوزيع التجاري .

ثالثا إن ما وراء الموقع الساحلي المقابل القريب أو حتى البعيد قد تتحكم في توجيه نوعية النشاط على الساحل ،إذ نجد مثلا وهران ضمن مخطط ترقية سياحية لشركة اسبانية وحتى عالمية أو شركة صيد أو نقل يابانية ...ألخ

إذ العبرة بالمنظومة اللوجيستيكية أو ما معناه الارتكاز على فعالية شبكة عامة من التجهيزات المناسبة ما هي إلا نتيجة ومظهر من مظاهر العولمة ولهذا فنظرة الجغرافي أو المختص في التهيئة يعتبر أن النقل البحري هو الذي يتحكم في تطور العمران ومسارات التنمية المختلفة ، وفي هذا الإطار يتعاظم دور الميناء وقد بدأت الأشغال في مشروع الميناء الجديد المقرر تخصيصه للتجارة والنقل عن طريق الحاويات كما تبين الصورة رقم 4 أدناه

مشروع ميناء الحاويات الجديد
المصدر : مؤسسة ميناء وهران

[6] Taoufik Belhareth (2007) les projets logistiques et leurs effets sur le littoral maghrébin : le ca d'enfidha

إذا كان هذا المسار.هو البعد العالمي لاقتصاديات المدينة في المدن المغاربية عامة فما هو البعد المحلي؟.

إن الاحتياطيات العقارية للبلديات المجاورة لوهران.مهددة باستمرار تخصيصها للمشاريع السكنية لحل مشكلة السكن في المدينة.والتي تظهر الدراسات والدلائل على عدم قدرة الاجهزه المعنية بالسكن (محلية كانت أم ولائية أم وطنية) التحكم بالموضوع.لأنه وبشكل مستمر تنمو أحياء فوضوية جديدة.وسيطالب أصحابها بمساكن جديدة. وهكذا يصبح من الصعب تخصيص أراضي لمشاريع تنموية تناسب الإمكانات الاقتصادية التي تتوفر عليها هذه البلديات.وما مثال تخصيص أراضي واجهة البحر في المناطق الشرقية لوهران لصالح بناء المساكن عوض منشآت سياحية تخدم البعد الاقتصادي للمدينة وللبلديات وتنقص من نسب البطالة المرتفعة. إن هو إلا نموذج لما يجري على مستوى كل البلديات وإن استمرار النزوح الريفي هو نتيجة للسياسات المتبعة.

ب:البعد البيئي والتنمية المستدامة

التنمية المستدامة مصطلح لسلسلة معقدة من الأهداف ونشاطات وسلوك الإنسان تجاه البيئة التي يجب أن تتوافق مع حاجات وطموحات الحاضر دون أن ترهن مستقبل الأجيال اللاحقة كما أسلفنا والملاحظ في إقليم وهران كله وليس المدينة فحسب هشاشة في الموارد الطبيعية وضعفها بل وافتقادها أحيانا مثل الموارد المائية وهذا ما نكتشفه من كتب جغرافية عديدة قديمها وحديثها فمثلا : هناك من لاحظ أن مظاهر الطبيعة تتغير في الغرب ابتداء من الشلف إلى الحدود الغربية حيث أن التضاريس أقل تأثرا بالتعرية والمناخ أكثر حرارة وجفافا في الصيف ونتيجة لذلك تتغير الكثافة السكانية والزراعة أين نجد أكوام الحلفاء تشاهد بالقرب من البحر والتربة الشقراء تنبت حشائش فقيرة وعلى الرغم من أن وهران على شواطئ البحر المتوسط إلا أن بقايا السبخة المتبخرة تعطي شعورا كأننا في منطقة الشطوط المالحة[7].وبما أن وهران مدعوة لرفع تحدي الميتربولية بهذه المشاريع الاقتصادية والتجارية (توسيع الميناء وإعادة الإحياء والترميم للمدينة القديمة بالتوازي مع مشاريع التوسع (مدينة البحر... الخ.)على أن تصبح موقع استراتيجي لإنتاج الثروة لكن الحقائق الميدانية تشير إلى أن وهران تتشكل من 43 حي بعضها مجهز والأخر أشبه بالورشة ناهيك عن وجود أكثر من 20 بؤرة للمباني الفوضوية يقطنها أزيد من 3500 ساكن مرورا

بالأحياء القديمة وخاصة في حي سيدي الهواري ورأس العين وللإشارة إلى أن المباني المهددة بالانهيار قدرت ب1990 بناية منها 1569 تسيرها دواوين الترقية العقارية و421 تابعة للخواص ونكشف المقارنة الإحصائية لحصيلة الانهيارات التي عرفتها وهران خلا ل السنوات الأخيرة(2006/2002) تطورا تصاعديا حيث قفز العدد الإجمالي لانهيارات من 60 حالة سنة 2002 إلى 202 سنة 2006 تسبب في زهاء 15 شخصا بإصابات وصلت في بعض الأحيان إلى العاهات المستديمة وخطر الموت حيث أحصت مصالح الحماية المدنية خلال الفترة المذكورة أكثر من 650 انهيار،خاصة في حي الدرب ورأس العين وقد سبق لهيئة الأمم المتحدة[5] أعلنت أن الجزائر مهددة بعشرة مخاطر كبرى يمكن أن تتسبب في كوارث حقيقية ويتعلق المر بالزلازل والفيضانات والمخاطر الصناعية والطاقوية على غرار ما حدث في سكيكدة وارزيو وكذا المخاطر الصحية كالتيفويد ومخاطر الصحة الحيوانية والمخاطر البيئية والتلوث بكل إشكاله وخطر الحرائق وأخيرا المخاطر الناجمة عن التجمعات السكانية الكبرى ،وهو ما يحتم على الحكومة استنفار قواعدها والتعجيل في الاستثمار في القدرات العلمية والفنية لمراقبة وتسجيل وبحث وتحليل والتنبؤ وتطوير خرائط للمخاطر الطبيعية ولابد من مراجعة لمخطط الطوارئ ويشي الخبراء إلى أن المخاطر الناجمة عن التجمعات السكانية إلى مشكل العمران الذي يزداد تعقيدا في مدن مثل قسنطينة والجزائر. ووهران حيث سيتميز العقدان القادمان بانتقال الرهانات الكبرى للتنمية البشرية نحو المدن الكبرى التي

(7) R Tinthoin (L'Oranie sa géographie son histoire ses centres vitaux p44 Ed L : fouque ORAN 1952

(8)جريدة الخبر ليوم الثلاثاء 31 اوت 2010 ص رقم 7

سيزداد عليها الضغط السكاني. كيف نربح معركة المدينة هل ستكون في منأى عن ظواهر التلوث والفقر والتهميش ؟
ونحنو بصدد تحليل الوضع الراهن في وهران نسجل في مجال تلوث الهواء مثلا : مدن صغيرة ومتوسطة مثل صفاقص في بلد صغير كتونس تتوفر على أجهزة قياس التلوث الهوائي موزعة بانتظام وفق الفوارق والتوزيعات الجغرافية ووفق معايير مدروسة، في وهران أيضا توجد أجهزة لقياس التلوث منذ ثلاث سنوات وهي أيضا موزعة على أساس الفوارق المكانية حيث وضعت المحطة الاولى على مستوى الميناء والثانية قرب مقر الإذاعة الجهوية لوهران والثالثة على الطرق الدائري الثالث عند متوسطة شرفاوي علي بحي بولانجي لكن مع الأسف لم يتم تدشينها بعد حيث أننا لم نقرا يوما عن حالة تلوث الهواء أعلن عنه في وهران حتى اليوم شهر نوفمبر 2010

وفي مجال الصرف الصحي: لا يدهشنا أن نرى بقايا أجساما مختلفة وصلبة من بقايا المدينة تقذفها الأمواج وتطفو على الشاطئ الوهراني ، وذلك من قلة العناية بالمحيط عموما وخاصة أن قنوات صرف المياه تتجه صوب البحر مباشرة دون أدنى معالجة وهو ما نتبينه من الحالة الراهنة لشبكة تصريف المياه المستعملة ومياه الأمطار
ـ نجد الأولى تتألف من ثلاثة قنوات رئيسية في نظام مختلط ،اثنين فيها تتجه مباشرة نحو البحر والثالث وهو يغطي كل المنطقة الجنوبية من العمران ما دون خط تقسيم المياه شرق ـ غرب ويتألف بدوره من ثلاث قنوات متوسطة تتجمع عند القناة العمودية بعمق 50 متر، وهي تقع بالقرب من المستنقع الصغير والضاية مرسلي ، وتتصل هذه القناة عند منتهاها بأنبوب عميق وهو الذي يتولى نقل محتواها إلى البحر مرورا تحت خط تقسيم المياه المذكور أعلاه لينتهي إلى مصب يدعى كوفالاوا ،بجوار مصب قناة الصرف للقطاع الشمالي الشرقي ،ولعل هذا أهم أثر للعراقيل الطوبوغرافية وقفت أمام مجهودات القسم التقني للبلدية ، ذلك أن القناتين الباقيتين تسايران مجرى الأودية فالأولى وهي الشبكة الشمالية تجرف مياه المنطقة المركزية والأحياء الشمالية الشرقية تلتقي معا في الواد الأبيض بعد مصب زوابع وتنتهي القناة الرئيسية بصبها في البحر بالقرب من شرق الميناء، أما الشبكة الشمالية الشرقية فهي تساير الخط الطبيعي لمجرى واد رأس العين الزائدة " الضائعة هدرا " وتتجه القناة المجمعة لكل هذه الشبكة عند مكان يدعى فورلامون . .
أما الثانية أي المخطط الحديث لشبكة صرف المياه المستعملة ومياه الأمطار فهي تمتاز باختلاف أساسي عن الشبكة القديمة بكونها تعتمد نظام فصل الشبكتين :الأولى بحيث تساير وتهيأ تطور المدينة إلى غاية أفق سنة 2015 متماشية مع خصوصيات ما تمنحه طوبوغرافية الأرض من ميول إنحدار . مما يسمح بإنشاء قنوات السيلان طبيعيا (بالجاذبية) ونقاطا التنفس وحلقات إلتقاء ومناطق أخرى للتجميع وهذا قبل الوصول إلى الأماكن المستقبلة المذكورة أعلاه فيما يخص مياه الأمطار التي نلاحظ بصددها أيضا وضعا دائريا مسايرا للطريق الدائري الثالث ولعل أهم مظهر للعراقيل الطبيعية تتمثل في المستوى المنخفض للأراضي جنوبا وتجمع المياه بشكل كثيف . مما إستوجب وضع قناة ما بين الجزء ح7 وح9 ، ومحطة تفريغ عند نهاية هذا الجزء الأخير بتنظيم الدفع وتخفيض نظام الجمع كما أن من الصعوبة، في هذا الميدان وضعية الجزء الشمالي الشرقي أ1النأ4 بحيث سيبقى على ما هو عليه أي في نظام مزجي ويتجه إلي البحر مباشرة إلا عن طريق الرفع وضمه بعد ذلك إلى القناة أ5 وأ6 أما شبكة المياه المستعملة فتتجه حسب هذا المخطط إلى محطة التنقية والمعالجة المنجزة بالكرمة ، وهي على العموم لا تختلف في إمتدادها عن الشبكة االسالفة الذكر "مياه الأمطار "(الخريطة1)
ـ إن اختيار هذا النظام للمستقبل يضع حسب رأي المتخصصين في الإعتبار مشكل نقص المياه أولا وقبل كل شيئ ومسألة التلوث التي وصلت إليها مياه الشاطئ الوهراني بدرجة أكثر أهمية نسبيا وخاصة بعد سلسلة أمراض الصيف الوبائية في السنوات السابقة ،

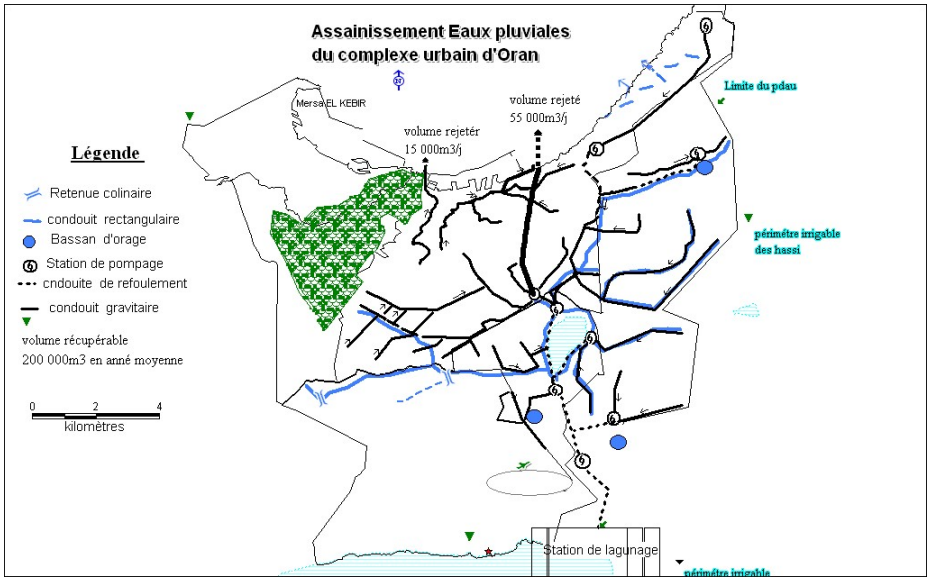

معالجة المياه المستعملة : معظم المياه المستعملة تصرف بدون أي معالجة بسبب انعدام محطات التصفية قبل ان تدشين محطة الكرمة بوهران ما عدا محطة وحيدة تعمل في هذا المجال و يستفيد منها شاطئ بوسفر لساحل غرب وهران و لكن بقدرة ضعيفة مع ملاحظة أن القانون المتعلق بحماية و تهيئة الساحل ينص علي أن كل كثافة سكانية يفرض عليه نظام تصفية المياه القذرة ، ورغم ظهور أمراض جلدية في كل شواطئ الغرب الجزائري تقريبا بين رشقون وبني صاف ووهران يمكن القول أنه لم يبق للمواطنين إلا الحيطة والحذر بأنفسهم.

جدول رقم (2) وضعية محطات تصفية المياه المستعملة لولاية وهران

	المحطة	الوضعية	الطاقة م^3 / يوم	طريقة المعالجة
1	بوسفر	تعمل	500	الحمأة المنشطة
2	الكرمة	إعادة اعتبار	2000	حفر الأكسدة
3	السانية	مهملة	1000	الحمأة المنشطة
4	مركب الأندلس	إعادة اعتبار	500	الحمأة المنشطة
5	عين الترك	مهملة	200	حفر الأكسدة
7	سبخة وهران	طور الإنجاز	60000	حفر الأكسدة
8	سيدي البشير	طور الإنجاز	20000	
9	كناستال	أنجزت حديثا	4000	
10	سيدي معروف	مبرمجة	10000	
11	ضاية مرسلي	طور الإنجاز	1500	

المصدر : مديرية البئية لولاية وهران 2006

خلاصة

لقد رشحت مدينة وهران، منذ اعتماد المخطط الوطني للتهيئة العمرانية في آفاق 2000 (SNAT 2000)، حسب توجيهات هذا الأخير، للعب دور مدينة متروبولية دولية من الدرجة الثانية مع قسنطينة، بعد الجزائر التي انفردت بلعب دور المتروبول الدولي من الدرجة الأولى ،إن العاصمة الدولية، لا بد أن تستند على فضاء حضري ومحيطي (périurbain) وإقليمي (régional) في

ذات الوقت، مهيكل وتراتبي (structuré et hiérarchisé)، متعدد الأقطاب، واسع بشكل كاف، أكثر مخدومية وتواصلية
(bien desservi et connecté)، متكون من أنشطة متكاملة . لكن في المقابل، تبدو الصورة الحالية للمتروبول الوهراني، بعيدة عن هذا الطموح ، ضواح- مراقد (banlieues-dortoirs)، فضاءات معزولة (espaces-ghettos)، أحياء-ملاجئ (quartiers-refuges)، تصاحب في أغلب الأحيان المدينة الكبيرة، لكنها لا يمكنها أن تنشئ عاصمة/ متروبولا. فمدينة ما وإن كانت متوسعة بشكل كبير، ذات عدد سكان يعد بالملايين، لا يمكن لها أن تترشح للعب دور المترو بول، إذا لم.

دعائم البحث

1- المدن الجزائرية 1998مجلة إنسانيات مركز البحوث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية عدة أعداد .
2 التوسع العمراني في المدن الكبرى للغرب الجزائري 1998من إعداد بوشيخاوي التاج، تللو غياث ، قبيل أحمد ولصقع موسى .
3- كتاب المجال والسكان مقالات الملتقى الوطني حول المجال والسكان 14 /15 أفريل 2003
4 ـ مقالات الأيام الدراسية حول مشاكل التعمير في مجمعة وهران. 28 يناير2004 5-
مداخلات الملتقى الجغرافي المغاربي التاسع 2007 حول الديناميات الحديثة في المجال الساحلي المغاربي الذي انعقد بصفاقس
9 - مداخلات الملتقى الدولي حول إعادة الاعتبار والحياة للعمران لوهران الذي انعقد بوهران 21/19 اكتوبر 2008
10- رسائل التخرج نذكر على سبيل المثال:
أ – بن علي خيرة 2008 الدور الإقليمي لميناء وهران ، دراسة لفرع الحبوب - المصدر -الميناء والظهير
ب - محمد فايز ومحمد صلاح شبلاق 2008ا قاعدة بيانات جغرافية للتوسع الشمالي الشرقي لمدينة وهران (حي النخلة بير الجير.
ج - عبودي فتحي وفرفار محمد 2008التغيرات المجالية والوظيفية بمجمعة حي الشهيد محمود ببلدية حاسي بونيف وهران

Bibliographie

1-LESGAA Moussa 1987, Rôle des contraintes physiques et techniques dans l'aménagement de la ville d'Oran. Thèse de 3em cycle (I .U.P) Université Paris12
2- GHODBANI Tarik Rechgoun un espace à protéger sur le littoral ouest de l'Algérie revue Méditerranée N° 3.4- 2005.
3- 95/2015 Le Plan Directeur d'aménagement et d'urbanisme du Groupement d'Oran
4- Plans d'occupation des sols / zone d'extension Est de la ville d'Oran
5- LESPES R., 1938, Oran, étude géographique et d'histoire urbaine ; édition Fontana ; Alger.
6- BELHARETH Taoufik 2007, Les projets logistiques et leurs effets sur le littoral maghrébin : le cas d'enfidha
7- DIRASSET-URAM-Schéma de cohérence urbaine d'Oran -